

شعر

شوقي بزيع متارجحاً بين زمنيين شعريين



لم يتخلص من مستلزمات الإيقاع، لكنه عثر على طريقة لجعل علاقته بالسرد والوزن جزءاً من مزاجه في الكتابة. ديوانه الجديد «فراشات لا بتسامة بوذا» (دار الآداب) هو خلاصة لافتتان الشاعر اللبناني بالتراث، وسعيه إلى حفّ قصيدته بمناخات النثر

حسين بن حمزة

رتب شوقي بزيع (1951) جملته الشعرية في كنف الوزن والإيقاع. بدأ ذلك كخيار أسلوبى وحساسية معجمية منذ باكورته «عناوين سريعة لوطن مقتول» (1978)، وتواصل ذلك، مع تعديلات طفيفة في المجموعات التالية. تخففت جملته من الفصاحة السلبية، ومن الانطباعات غير المرنة التي تنبها الجزالة اللغوية وبلاغاتها التقليدية، ومن الصوت العالي وجلبة الأفكار الكبرى، لكنها ظلت جملة إيقاعية تبدأ من دندنة أو غناء داخلي يتعالى ويستوي لاحقاً. الإيقاع هو جلد لغوي في النهاية، وهو طريقة الشاعر في مداومة الكلمات واستدراجها إلى أرضه الشعرية، إلا أن ذلك لم يُنجه من القلق على جملته من نفاذ الاحتياطي الممكن للمكونات

السرد المدسوس في القصيدة يقودها خفية، بينما الغناء والإيقاع طافيان على السطح

الإيقاعية فيها، وهو ما جعله، إضافة إلى أسباب أخرى تتعلق بتطور الشعر عموماً، يبحث عن استثمار شعريه أخرى، وعن طرق لإنعاش الإيقاع والغناء والتصاعد الدرامي الذي تغذت عليه قصائد مجموعاته الثلاث الأولى. صممت الشاعر خمس سنوات تقريباً، وعاد بمجموعة رابعة هي «وردة الندم» (1990) التي خفت فيها أصوات الإيقاعات، واقتربت أكثر من المعاني التي تتحرك في أحشاء تلك الإيقاعات، ولكن الإنعطاف الأقوى جاءت في مجموعته الخامسة «مرثية الغبار» (1992)، ولعل العنوان نفسه بدأ مثل إشارة حاسمة إلى أشغال معجمية وتأملات فلسفية من نوع مختلف. تراقف ذلك مع

تقريب الجملة الموزونة من مناخات النثر، وحف الاستعارات التطريبيه مع حيادية النثر والسرد اليومي. الشاعر نفسه قدم لاحقاً شهادة عن ذلك في كتابه «هجرة الكلمات» (2008)، وكانت مفردة «هجرة» تأويلاً لتلك النقلة الأسلوبية التي حدثت داخل نبرة الشاعر ذاتها. قوة هذه النقلة موجودة في حدوثها داخل الموضوع الذي بدأ فيه الشاعر الكتابة. كان ذلك نوعاً من هجرة داخلية منحت قصيدته عمراً إضافياً ورثته أوسع كي تتنفس فيها بعمق، هكذا، بدأت استرسالات النثر وفهمالاته تتسرب إلى قصيدته، وتخلق نوعاً من الهدنة أو التسوية مع الإيقاعات. صار السرد حاضراً أكثر، وصارت القصيدة ذاتها تحتوي على خيط قصصي عادي، ولكنه مروني بالتفاعلات. داخل هذا الصورة الكبيرة، حدثت تفاصيل أصغر في الموضوعات، وفي استعداد المخيلة لما ينتظرها من أعمال إضافية على الصور والانتقالات وبناء الجملة والانتقالات الصامتة بين السطور. لم يتخلص صاحب «فراديس الوحشة» من مستلزمات الوزن والعروض، بل إنه عاد أكثر من مرة لكتابة قصيدة فراهيدية كاملة، لكنه عثر على طريقة لجعل علاقته بالسرد والوزن جزءاً من فنه الشخصي ومن مزاجه في الكتابة. مجموعته الأخيرة «فراشات لا بتسامة بوذا» (دار الآداب) هي

خليط وخلاصة لهذه التوصيفات التي تُظهر افتتان الشاعر بزمنيين شعريين، فهو لا يكف عن السعي إلى توطين مذاقات سردية حديثة في قصائده، ولا يكف - في الوقت نفسه - عن الإصغاء إلى التراث الراسخ للعروض. في قصيدة «تأليف 2»، نقرأ جانباً من هذا الافتتان المزدوج: «ألفت غيماً للقصيدة داكناً/ وكمنت للمطر المثل على المعاني/ من علّو شأهق/ لكنني لم التمش نُدُر الشتاء/ ولم أقع إلا على الشبهات/ خالية الوفاض من الحنوّ/ ولم أجد إلا انتظارات/ تغصّ بما تلبدّ

وممكناته الأسلوبية واللغوية. ممارسات مثل هذه تتصل بصورة الشاعر المعاصر، ولكنها تتغذى من أسئلة الشاعر العربي القديم أيضاً، إذ يمكن وضع القصيدة تحت صدر البيت الشهير لعنتره العبسي: «هل غادر الشعراء من متردّم». الواقع أن هذا المثال يعزّز تأرجح تجربة شوقي بزيع بين زمنيين، إذ نجد لديه شغفاً آخر بالعرضية الشعرية، وهو ما يلوح في المرثيات الكثيرة التي كتبها الشاعر، ومنها اثنتان في المجموعة الجديدة عن غياب والده، وثالثة عن رحيل الشاعر السوري زهير غانم، إضافة إلى رثاءات الذات المدفونة في طيات قصائد عديدة حملت أسئلة وجودية لها علاقة بالتقدم في السن والحنين إلى الطفولة، وهو ما نقرأه في قصائد «الزهايمر»، و«رائحة الصابون»، و«حياة افتراضية». الأخيرة تبدأ بما يشبه اللحظة الطللية في الشعر جاهلي: «كمن يستقط من قاع بئر/ قلامه ضوء هزيل/ تعاودني دائماً برهه (ربما لا وجود لها)/ برهه تتبدى لي الآن/ مثل أضاليل مستحبة/ من شريط التداوي الطويل/ هكذا اتخّلتني واقفاً/ ذات صيف/ أراقب من شرفة البيت منحنيات الجبال/ التي سوف تغدو بداعي الغياب/ أقلّ أعتداً بتكوينها الضلبي/ فيما بعداً على شرحة الأفق/ يمتضي قطع خراف/ ليجتز عبث الوجود الليل».

مجازاة النثر

في بعض قصائده، يبدو شوقي بزيع كأنه يخوض نوعاً من المجازاة الخفية مع الحساسيات التي وصلت إليها شعرياته النثر، ولكنه لا يقدم إلا تلك التضحيات التي لا تهدد هويته ونبرته كشاعر ينتمي إلى صورة أسلافه الذين كانوا صوت القبيلة والجماعة. لقد سبق له أن قال إن النماذج العالية لقصيدة النثر وضعته «أمام نوع آخر من الجمالية الرّجبة التي تعتمد الكنافة والإيحاء والتوازنات الإيقاعية والبصرية المدهشة»، وهو لا يزال منتبها إلى الهدايا التي يقدمها له النثر والسرد كي تكون قصيدته الموزونة ملموسة ومعفاة من التهويم والتفجع البلاغي، الذي عادة ما يضيع في الترجمة إلى لغات أخرى. ولو قرأنا قصائد بزيع بلغة أخرى، حيث الوزن لا ينتقل في الترجمة، لرأينا أنها تبدو قريبة جداً من أي قصيدة نثر.

مؤتمر

«جامعة اللوزية» تستعيد كمال الحاج... فيلسوف القومية اللبنانية

روان عز الدين

بعدها احتضنت «جامعة اللوزية في لبنان» الأسبوع الماضي مؤتمراً دولياً حول «تراث تشينوا أنتشبي (1930 - 1913)»، ها هي «مؤسسة الفكر اللبناني» في الجامعة تنظّم حدثاً لبنانياً تحت عنوان «أيام كمال الحاج» في مناسبة صدور مؤلفاته الكاملة عن «بيت الفكر». غداً، تنطلق فعاليات استعادة إرث كمال الحاج (1916 - 1976) بعد حوالي 4 عقود على رحيله. إصدار هذا الإرث الكامل بين دفتي كتاب، من شأنه إعادة المفكر اللبناني إلى أذهان القراء والأكاديميين والطلاب لمراجعة أفكاره وتقويمها

ومقاربتها. هو وريث تلك الحقبة التأسيسية الغزيرة في النصف الأول من القرن العشرين في لبنان، التي احتضنت تجارب رثيف خوري، وميشال شيحا، ونقولا الحداد وغيرهم ممن شغلته الترجمة واللغة والأدب والتنظير الفلسفي والهموم الفكرية والسياسية على اختلاف توجهاتهم الفكرية. هكذا، جمع الفيلسوف اللبناني الترجمة («رسالة في معطيات الوجدان البديهي» للفيلسوف الفرنسي هنري برغسون، وغيرها)، والفلسفة، واللغة، والفكر، والسياسة والتاريخ. ابن البيئة اللبنانية الحاضرة للطوائف، كتب «في الفلسفة اللبنانية»، و«في الميتافيزيقية

يتركز اللقاء على المحاور الأساسية في فلسفته

الطاغية البناءة»، و«في النضالية إزاء الصهيونية»، و«تسيارات فلسفية» وغيرها من القضايا التي كانت تضح بها الساحة الفكرية في ذلك الوقت.

أبرز نشاطات «أيام كمال الحاج» هو المؤتمر الأكاديمي الذي تحتضنه «قاعة عصام فارس» في «جامعة اللوزية في لبنان» (ذوق مصبح) حول المحاور الأساسية في فلسفته يومي الجمعة والسبت. هكذا سيقام المؤتمر الذي يشارك فيه أكاديميون من الجامعات اللبنانية وطلاب جامعيون، أفكار الكاتب وفلسفته، كفسفة اللغة، وفلسفة النضالية، وفلسفة القومية اللبنانية، وفلسفة اللبنانية، إلى جانب فقرة تفسح المجال أمام الطلاب لمناقشة أفكار الراحل. نشاط آخر على برنامج الحدث هو «الاحتفالية الكبرى» التي يختتم فيها المؤتمر. في الاحتفالية الكبرى التي يشارك

فيها ابنه الأكاديمي يوسف كمال الحاج، وميشال إده، ورئيس الجامعة الأب وليد موسى وغيرهم، سيشاهد وثائقياً عن الراحل، وسترفع الستارة عن تمثال كمال الحاج في الجامعة. كذلك، سيتم توقيع الميثاق التأسيسي ل«أسسية كمال يوسف الحاج» عن «بيت الفكر» الذي أصدر نتاجه الكامل وسيترجمه لاحقاً. كما ستطلق جائزة سنوية باسمه للإبداع الفكري، وستعمل الدار على مادة الفلسفة اللبنانية في الجامعات اللبنانية.

«أيام كمال الحاج»: من 26 حتى 30 آذار (مارس) - جامعة اللوزية في لبنان» (ذوق مصبح) - للاستعلام: 09/208881